

التوسط



بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فالتوسط هو الاعتدال والقصد، وفي ذلك الخير كله، ففيه تأسٍ بالرسول ﷺ وبالأصحاب الكرام، وبه السلامة من الزيادة والنقصان، وهو دليل كمال العقل وتمام الرشد، وعليه مدار الفضائل في كثير من الأمور؛ فالشجاعة مثلاً وسط بين الجبن والتهور، والسخاء وسط

بين البخل والتبذير وأهل السُّنّة والجماعة (الفرقة الناجية) وسط في النِّحَل.

كما أنّ ملة الإِسلام وسط في الملل؛ فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى، ولم يجفوا عنهم كما جفت اليهود وهم وسط في شرائع الدين، فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويُثبت ما شاء كما قالته اليهود، ولا جوّزوا لأكابر علمائهم وعُبّادهم أن يُغيروا دين الله، فيأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى.

وهم كذلك وسط في باب صفات الله تعالى، فإِن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة، والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به.

ووسطية أهل السنة والجماعة راجعة لتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان.

فالتوسط هو القصد المصون عن الإفراط والتفريط وكلاهما من مداخل الشيطان للنفس، وشأن المسلم أن يتحرى الاعتدال ويبتعد عن التطرف قولاً وفعلاً بحيث لا يُقصر ولا يُغالي، وهو يفعل ذلك لأن الوسط فيه النجاة من الظلم وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل حتى مصلحة البدن لا تقوم إلاَّ به.

والشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي في

جميع المكلفين غاية الاعتدال.

وهو أمر الله لخلقه وعباده، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وترتبت عليها أحكام شرعية، قال تعالى: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)** ﴾

[البقرة: ٢٣٨].

وقال سبحانه في كفارة اليمين: ﴿ **فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ﴾ [المائدة: ٨٩].

وفي معرض الثناء: ﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨)** ﴾ [القلم: ٢٨].

وفي الحض عليه: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا**

تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) ﴾

[الإسراء : ٢٩] .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

وكذلك وردت السنن تأمر بالتوسط وتبين أن خير الأمور أوسطها فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا [رواه مسلم]، والمتنطعون هم المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

وفي الحديث : «**إياكم والغلو في الدين ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» [رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني] .

وورد : «**إنّ لربك عليك حقًا ، ولنفسك عليك حقًا ،**

ولأهلك عليك حقًا فأعطِ كل ذي حقٍ حقه» [رواه البخاري] .

ولما أُخبر ﷺ بأمر الثلاثة الذين قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفطر . وقال آخر : أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأُفطر ، وأُصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سُنّتي فليس مني**» [رواه البخاري ومسلم] .

وفي الحديث : «**عليكم هديًا قاصداً ، عليكم هديًا قاصداً ، عليكم هديًا قاصداً ، فإنّ من يشاد هذا الدين يغلبه**» [رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي] .

وسُئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**أدومها وإن قلّ**». وقال ﷺ: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**» [رواه البخاري ومسلم].

وقال ﷺ: «**لن يُنجي أحدًا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدُّلجة والقصد القصد تبلغوا**» [رواه البخاري].

وما ورد في نصوص الشريعة نطقت به أقوال أهل العلم قال أبو بكر رضي الله عنه لما وقف خطيبًا يوم السقيفة مُخاطبًا الأنصار: « ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر (أي الخلافة) إلاّ لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم (يعني عمر بن الخطاب وأبا عبيدة) ».

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: « خير الناس هذا النمط الأوسط، يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « ما عال (ما افتقر) مقتصد قط »، وقال وهب بن منبه: « إن لكل شيء طرفين ووسطًا، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، فإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوسط من الأشياء » وقال محمد بن الحنفية: « الكمال في ثلاثة: الفقه في الدين، والصبر على النوائب، والاقتصاد وحسن التدبير في المعيشة » .

وقال الحسن: « خير الأمور أوساطها » . وقال الطحاوي: « دين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام، وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه (أي تشبيه الخالق بالمخلوق – تعالى الله عن ذلك –) والتعطيل (أي نفي آيات الصفات) وبين الجبر (أي أن

الإنسان مُجبر على فعله) والقدر (أي نفي القدر) وبين الأمن واليأس » .

وقال الأوزاعي : « ما من أمر أمَر الله به إلاَّ عارض الشيطان فيه بخصلتين ولا يُبالي أيهما أصاب : الغلو أو التقصير » .

وقال ابن القيم : « إنّ الصراط المستقيم الذي وصانا الله به وباتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة، والجائر عنه، إما مفرط ظالم، أو مجتهد متأول، أو مقلد جاهل، وكل ذلك قد نهى الله عنه، فلم يبقَ إلاَّ الاقتصاد والاعتصام بالسُّنَّة وعليهما مدار الدين » .

وقال أيضًا : « من كيد الشيطان العجيب : أنه يُشامُّ

النفس؛ حتى يعلم أي القوتين تغلبُ عليها : أقوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة . وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين : وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ (وهو الوسط) » .

فلا تذهبن في الأمور فرطا
ولا تسألن إن سألت شططًا
وكن من الناس جميعًا وسطا
وعليك بأوساط الأمور فإنها
نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعبًا

فهيا بنا نُسلم وجوهنا لله، ونكون من خير أمة

أُخرجت للناس، نتعرف على دين الوسطية، ونُتابع النّبيّ ﷺ وصحابته الكرام ونسعى في إِقامة الحق في الخلق أخذاً بأسباب إِقامة الدولة العالمية حتى تسعد الدنيا بعيداً عن مسالك الإِفراط والتفريط التي يجرها إِليه الشرق تارة والغرب تارة أخرى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

